مشرقية ابن سينا
واشراقية السهروردي

(مقاربات فلسفية صوفية)

Mashriqiya Ibn Sina, Ishraqiya and Suhrawardi

م. م. زينب سعيد خلف
Zainab Khalaf Saeed

University of Maysan
College of Education

fujfucugucufu@gmail.com

الملخص

ابن سينا، من اعلام التصوف الاسلامي في اوائل القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي كي يتبؤ المكانة التي يستحقها بين رجال التصوف كما كانت له مكانته المرموقة في الفلسفة والمنطق والطب والفلك والكيمياء والرياضيات وعلم النفس والموسيقى والشعر والاخلاق واللغة وعلوم الدين وغيرها من العلوم كما رأينا ا ن نقف مع شيخنا على دقائق مذهبه الصوفي كما تبيناه والذي اتخذ من فلسفته دعامة له مما دعي الباحثين في الفكر السينوي الى اعتبار مذهبه الصوفي مذهباً عقلياً صرفاً وان الصوفي عنده هو الفيلسوف المنطقي.

وقد وجدنا في هذا الاتجاه مغالاة الى حد كبير وتجاهلاً لما يعج به مذهب ابن سينا الصوفي من جوانب روحية خالصة لايمكن اغفالها او التغاضي عنها والتي يحدثنا فيها الشيخ الرئيس حديث القلب والوجدان لا حديث العقل والبرهان كما كان علينا ابراز الجوانب الروحية في حياة الشيخ الرئيس العملية وكيف انه اتجه للتصوف في اواخر حياته، وقد كان هذا الجانب مغفلاً تماماً عن الباحثين السابقين.

كلمات مفتاحية: مشرقية ابن سينا، اشراقية السهروردي، مقاربات، فلسفية، صوفية.

Abstract

Ibn Sina, from the media of Islamic Sufism in the early fifth century AH, atheist tenth century to assume the status worthy of the men of Sufism as it had a prominent position in philosophy, logic, medicine, astronomy, chemistry, mathematics, psychology, music, poetry, ethics, language and religion and other sciences as we saw We stand with our sheikh on the minutes of his mystical doctrine as it turned out, which took from his philosophy a pillar of him, which called on scholars in the Sinawi thought to consider his doctrine of the Sufi as a purely rational doctrine and that his mystic is the logical philosopher.

We have found in this direction a great exaggeration and disregard of what is teeming with the doctrine of Ibn Sina mystic purely spiritual aspects cannot be ignored or overlooked by the President Sheikh talking modern heart and conscience, not talk of reason and proof as we had to highlight the spiritual aspects in the life of Sheikh President practical and how He turned to mysticism in the end of his life, and this aspect was completely oblivious to the former researchers.

Key words: Mashriqiya Ibn Sina, Ishraqiya, Suhrawardi, Approaches, Philosophical, Sufi.

«المبحث الأول»

سيرة ابن سينا الشخصية والعلمية

تمهيد:

حينما حاولت وضع تمهيد للموضوع، بدا لي انه يجب النظر الى عصر ابن سينا[1] بالاضافة الى تحديد مفهوم الحكمة والتصوف، وذلك ان اغلب الباحثين عند اقبالهم على دراسة شخصية فكرية وموضع متعلق بها، يبدأون بالعصر الذي عاش فيه لفهم

(١) ابو علي بن عبد الله بن الحسين بن علي بن سينا، لقبه الشيخ الرئيس، ولد عام (٣٧٠هـ- ٩٨٠م) وهو يعد فارسي الأصل والمنشأ والاقامة، لكنه عربي التأليف والثقافة، واسلامي الدين والحضارة، ولد في قرية (افشنه)، وتقع هذه القرية بالقرب من بخارى، وتعرف حالياً بـ(اوزبكستان) وكان تنقله بين كركانج (عاصمة خوارزم) ونسا بخراسان، وموس من اعمال نيسابور، واقامته فترة متباعدة خلال حياته في جرجان والري وهمدان واصفهان، وحيث كتب ابن سينا سيرة حياته، واتمها تلميذه الجوزجاني من بعده، ينظر: البيهقي، ظهر الدين (ت ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م)، تاريخ حكماء الاسلام، تحقيق: محمد كرد علي، ط٢، (مطبعة المفيد الجديدة، دمشق، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)، ص٥٢؛ القفطي، جمال الدين علي الحسن علي بن القاضي الاشرف يوسف (ت ٦٤٦خـ/ ١٢٤٨م)، اخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الاثار، بيروت، ص٦٨؛ ابن ابي اصيبعة، موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم الدوري الخزرجي (ت ٦٦٨هـ- ١٢٧٠م)، عيون الانباء في طبقات الاطباء، ط٣، (دار الثقافة، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ج٣، ص٣؛ الكحال، عمر رضا، معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، مكتبة المثنى ودار احياء التراث العربي (د.ت، مجلد ٢، ص٢٠؛ مطلب عبد اللطيف، تاريخ علوم الطبيعة، (دار الحرية للطباعة، بغداد)، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص١٩١؛ ابن خلكان، ابي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، (دار صادر، بيروت، دار احياء التراث العربي، د.ت)، ج٣، ص٢٣٤.

المستوفي القزويني، حمد الله بن ابي بكر بن احمد بن نصر (ت ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)، تاريخ كزيده، اشراف: عبد الحسين نوائي، (د.م، مطبعة امير كبير للطباعة والنشر، ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٩م)، ص٦٨٨؛ طوقان، قدري حافظ، العلوم عند العرب، (د.ط)، (د.ن) و(د.ت) ، مصر، ص١٤٨؛ هوبكه، زيغريد، (شمس العرب تسطع على الغرب) (أثر الحضارة العربية في أوربا) نقله من الالمانية: فاروق بيضون وكمال دستوقي، راجعه ووضع حواشيه: مارون عيسى الخوري، ج٣، (المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ص٢٨٩.

مواقفهم اتجاه موضوعات فكرية معينة على اعتبار ان الانسان ابن بيئته، وهو صدى لعصره، فالعصر هو المحطة التي تتم فيها تفاعلات الفرد مع الواقع، سواء كانت هذه التفاعلات على المستوى السياسي او الثقافي او الاجتماعي، او الحضاري، محاولين الاختصار لتجنب التكرار وخشية الاطالة، خصوصاً وقد كتب عن ابن سينا المراجع قديماً وحديثاً، في الشرق وفي الغرب ما اعتقد انه فيه الكفاية.

كانت حياة ابن سينا وآراؤه وجدت شكل دعوى من دعاوى العامة والخاصة سنداً وتأييداً، فكانت حياة مفعمة بضروب مختلفة من الأحاسيس والانفعالات والمواطن، لقد عاش الحياة بالعرض لا بالطول، وكانت حياته، كما ارادها عريضة وقصيرة لا طويلة وضيقة. لقد انتشى من الكأس المترعة، واستمتع بالغيد الاماليد، وسكرت روحه بتناغم الأكان، واستمتع بشهوات السمع والبصر، ولكنه ايضاً لجأ الى الله مخلصاً، وابتهل الى (مبدع الكل) طالباً التوفيق والعون، وكم شهده المسجد، وشهده بيته، مستقبلاً القبلة، متوجهاً الى الله بقلبٍ سليم، وكم اكب على القرآن قارءاً ودارساً وشارحاً، وكم شهده الفقراء متصدقاً عليهم، مداوياً لمرضاهم، لوجه الله، لا يريد منهم جزاءاً ولا شكوراً[1].

من البديهي القول ان الالمام بالفلسفة السينائية والاطلاع على حقيقتها وادراك كتبها وعمقها، أمر في غاية الصعوبة والمشقة، ويستدعي من الباحث التفرغ مدى الحياة لبلوغ ذلك او البعض منه[2].

(١) ينظر: محمود عبد الحليم، التفكير الفلسفي في الاسلام، ط٢، (دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٩)، ص٢٧٧.

(٢) بهشتي، مباحث الالهيات عند ابن سينا، ص١٥.

ان الفلسفة السينائية بحسب ما يظهر لا تتعارض مع الشريعة والمعتقدات الدينية، بل هي رافد عقلي لتثبيت العقائد الدينية، وحافز يدفع الى التمسك بالشريعة السمحاء والالتزام بأحكامها[١].

ولم يكن تأثير الفلسفة السينائية عصوراً في اوساط المسلمين والشرقيين، بل ان فكره الفلسفية انتشر في بلاد الغرب، حيث تأثر به العديد من فلاسفة تلك البلاد، وبقيت افكاره الفلسفية ومصنفاته متداولة في اوساط الغربيين حتى عصرنا الحاضر[٢].

حياة ابن سينا والفترة الزمنية للكتابة (كتاب الحكمة المشرقية):

ان البحث يقودنا الى التعرض لكتابه حياة الشيخ الرئيس ابن سينا وهو ما لم اشأ ان اتعرض له، خشية الاطالة، خصوصاً وقد كتب عنه المراجع قديماً وحديثاً، ما اعتقد ان فيه الكفاية، لم يقتصر ابن سينا في مباحثه الفلسفية على الموضوعات العقلية المجردة، بل انه نوع الموضوعات التي عالجها، لتشمل مباحث عرفانية وصوفية تتصل بالشهود والسلوك، ومباحث عملية تتصل بالجاه البشرية مثل النفس والارادة والعشق والاجتماع والساسة والنوى والكيمياء، اضافة الى ابداعه في ميدان الطب[٣].

شهد النتاج العلمي والتراث الفكري والفلسفي للحضارة العربية الاسلامية جهوداً متميزة، فلم يكن ابن سينا في مجال تقسيم العلوم جهوده فريدة من نوعها او غير مسبوقة بمثيلتها حيث شهد التراث الفكري والفلسفي والنتاج العلمي جهوداً متميزة، كان من روادها الكندي، والفارابي واخوان الصفا والخوارزمي، وكانت تلك النتاجات

(١) نفس المصدر، ص١٥.

(٢) بهشتي، نفس المصدر، ص١٦.

(٣) بهشتي، أحمد، مباحث الالهيات عند ابن سينا، ترجمة: حبيب فاض، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، غبيري – بيروت – لبنان، ١٤١٩هـ/ ١٩٨٧م، ط١، ص١٦.

ذات تنوع من الصلة بتقسيم العلوم عند افلاطون وارسطو[١]. لكن ابن سينا قسم العلوم بشكل اوضح وادق عن بقية الفلاسفة والمفكرين فأخذ من سابقيه، فعدل ارائهم واضاف الكثير اليها.

فقد برع في الطب والكيمياء والفيزياء، كما برع في الفلسفة وأقسامها وفسر القرآن، وبرع في علم الكلام، حيث اوجد من معطيات الفلسفة التأييد لمفاهيم القرآن الكريم الأساسية[٢].

اما عما يخص الجانب الفلسفي وعلاقته بالتصوف وهو مضمون بحثنا، فقد بدأت الدعوة الى الاهتمام بباطن النفس، وحقيقة الشريعة لا مجرد اعمال الجوارح ورياضة النفس عن طريق الزهد والعبادة والوصول الى المعرفة عن طريق الوحي والالهام وادراك العالم العلوي بالذوق والشعور، وبما يدركه العقل بالمنطق والتجارب والقياس[٣].

عصر ابن سينا

ان الحقبة التي امتدت فيها حياة ابن سينا (٣٧٠هـ/ ٤٣٨هـ) (٩٨٠م – ١٠٣٦م) كان حافلة بالأحداث والتحولات التاريخية والسياسية، وكان يؤذن بانحلال الامبراطورية العباسية في بغداد (١٣٣ – ٦٥٧هـ) (٧٥٠– ١١٨٥م) إذ بدأت الامة تتنازعها العصبيات القومية الفارسية – التركية – العربية – السلجوقية، فأخذ الولاة والامراء يتقاسمون السلطة في الولايات والأقاليم[٤]، ولكن "الناحية الفكرية في هذه الفترة افضل حالاً، على الرغم من تأثرها بالحالتين السياسية والاجتماعية، اذ كانت اكثر

(١) الآلوسي، حسام الدين، دراسات في الفكر الاسلامي، ط١، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ص٩٩– ١٠٠.

(٢) خليف، فتح الله، فلاسفة الاسلام، ص١٤.

(٣) أمين، ظهر الاسلام، ج١، ص٢٢٦.

(٤) ينظر: شمس الدين، عبد الامير، المذهب التربوي عند ابن سينا، بيروت، لبنان، ١٩٨٨، ص٢٢.

اخصاباً، واغزر انتاجاً، فظهر في تلك البقية من الخلافة الكثير من المفكرين والعلماء"[١].

بل ان المملكة الاسلامية في القرن الرابع الهجري كانت اعلى شأناً في العلم من القرون التي كانت قبلها"[٢].

هذه الاحداث كان لها اثر مباشر على حياة ابن سينا وفكره، فبعد ان عانى من المناخ المتأزم في خراسان، آثر الانصراف الى الكتابة والتأمل في جرجان، مفضلاً الاقامة في بيت اشتراه له صديقه ابو محمد الشيرازي يعني انه لم يكن بحالة مادية تسمح له بشراء مسكن يأوي اليه، على الرغم مما كان عليه من الشهرة وطول الباع في الطب والعلم والفلسفة، في وقت اخذت تتهاوى فيه عروش الامراء، وتهافت العامة والخاصة على طلب ود (محمود الغزنوي) لتقديم الولاء والجزية له[٣].

فنرى ابن سينا ينظم القصيدة التي يصف فيها حاله:

لما عظمت فليس مصر اوسعي ولما على ثمني عدمت المشترى

وبسبب هذه الظروف في هذه الاقاليم انتشرت ظاهرة التصوف وكانت هذه الأسباب اثر لا ينكر في ظهورها وانتشارها، فمال ابن سينا الى هذه الظاهرة[٤].

ان المأثور الصوفي، كان على درجة عظيمة من الحيوية في الوسط الاجتماعي والثقافي الذي عاش فيه ابن سينا، رفده بمدد لا يمكن الغض من شأنه اطلاقاً[٥].

(١) ينظر: أمين، احمد، ظهر الاسلام، ج١، ص٩٥.
(٢) ابن ابي اصيبعة، طبقات الاطباء، ص٥٥٥.
(٣) شمس الدين، المذهب التربوي، ص٢٢.
(٤) شمس الدين، المذهب التربوي، ص٢٢.
(٥) جورج طربيشي، معجم الفلاسفة، ط٣، دار الطليعة للطباعة والنش، بيروت ٢٠٠٦م، ص٢٩.

ان ابن سينا لم يكن حراً على الدوام في الافصاح عن جوهر فكره، وانما من التهور والبعد عن الفطنة والتشكيك في ايمان شخص كان لا يتردد، عندما لا يسعفه المنطق في التوجه الى المسجد ليصلي وليتضرع الى خالق الأشياء، على حد تعبيره، ليكشف له عن المعنى الصعب والمستخلق للمسألة المطلوب حكمها.

وهل لنا ان نفرض ان رجلاً موقراً مثل الصوفي الكبير ابي الخير كان سيقول عن ابن سينا "ما أراه يعلمه، وما يعلمه اراه" لو كانت معارف هذا الأخير تشوبها شائبة من الهرطقة[١].

تعريف التصوف لغةً:

يقال في اللغة ان الصوف للشاه ويقال كبش صاف، أي كثير الصوف، وصاف السهم عن الهدف مال وعدل، والمضارع منه يصوف ويصيف[٢].

وبعضهم يرى ان كلمة صوفية كلمة مولده لا يشهد لها قياس ولا اشتقاق في اللغة العربية[٣].

وعلى هذا الأساس تكون كلمة تصوف حادثة وغير معروفة عند العرب الأوائل ولا في عصر الرسولﷺ واصحابه كحدوث مصطلح العقائد وعلم الكلام وتسميته الفقه الأكبر.

وقد تكلم الصوفية في الاشتقاقات اللغوية لمصطلح التصوف.

---

(١) طربيشي، معجم الفلاسفة، ص٢٨.

(٢) ينظر: الصحاح للجوهري، مطابع دار الكتاب العربي، ج٤، ص١٣٨٨، ١٣٨٩؛ والقاموس المحيط، ج٣، ص١٦٩؛ ولسان العرب، ص١٠٢، ١٠٣، ومعجم مقاييس اللغة، ج٣، ص٣٢٢.

(٣) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت ٧٧٠هـ)، المطبعة العثمانية، ج١، ص١٩١.

قال ابن عجيبة "من الصوف، لأن الصوفي من الله تعالى كالصوفة المطروحة لاستسلامه لله تعالى"[١] بمعنى الانقياد والاستسلام لأوامر الله وطاعته.

تعريف التصوف اصطلاحاً:

عرف التصوف بتعاريف كثيرة، وان لكل امام من ائمة الصوفية تعريف من التعاريف لا على سبيل الحصر للاختصار يرى الجنيد البغدادي رحمه الله "التصوف استعمال كل خلق سني وترك كل خلق دني"[٢].

وقال الشاذلي[٣]: "التصوف تدريب النفس على العبودية، وردها الى أحكام الربوبية"[٤].

ورد التصوف في الفتوحات المكية عن ابن عربي[٥] حيث قال: "فالتخلق بأخلاق الله هو التصوف"[٦].

(١) ابن عجيبة (ت ١٢٦٦ هـ)، ايقاظ الهمم في شرح الحكم، المطبعة الجيكالية، مصدر، ص٣.

(٢) المدني، الشيخ مصطفى، النصرة النبوية، (مطبعة العامرية، مصر)، ص٢٢.

(٣) علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم، ابو الحسن، المغربي، ولد (٥٩١هـ) وتوفي (٦٥٦هـ)، كان من كبار العلماء في علم التفسير والحديث، وكان يحضر مجلسه اكابر العلماء في تونس ومصر وكان رأس الطائفة الشاذلية، من تراثه (السر الجليل في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل، ينظر: شجرة النور الزكية، ص١٨٦، والاعلام، ج٥، ص١٢٠؛ وطبقات الشعراني، ج٢، ص٤.

(٤) عيسى، الشيخ عبد القادر، حقائق عن التصوف، ط٢، دار الانباء، ص٢٢.

(٥) محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله، محي الدين ابو بكر الطائي الاندلسي، المشهور بابن عربي، ولد في الاندلس عام (٥٦٠هـ) ذكر انه حج ولم يرجع الى بلده، توفي (٦٣٨هـ)، ينظر: فوات الوفيات، ج٣، ص٤٣٥، البداية والنهاية، لابن كثير، ج١٣، ص١٥٦.

(٦) ابن عربي، الشيخ الامام، ابي بكر محي الدين (ت ٦٤٨هـ)، الفتوحات المكية، ضبطه وصححه: احمد شمس الدين، (دار الكتب العلمية)، (د.ط) ج١، ص٤٠٢.

وفي مقدمة ابن خلدون[١]: "هذا العلم من العلوم الحادثة في الملة أي حدوث، تسميته، وأصله ان طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية، فلما خشي الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس الى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة".

وقال البعض الآخر "انه من الصفة، إذ حملته من الاتصاف بالمحاسن وترك الاوصاف المذمومة"[٢].

وقيل انه مشتق من الصف؛ لأنهم في الصف الأول في سعيهم لمرضاة الله والإقبال على طاعته[٣].

وقال البعض: "لابد للصوفي ان يتحقق بمعاني حروف اسمه، فالصاد صفاؤه، والواو وفاؤه، والفاء فناؤه، والياء يقينه"[٤]. والذي يبدو لنا "من خلال تطبيق هذه الاشتقاقات على قواعد اللغة ان اصح الأقوال، هو ان علم التصوف مشتق من الصوفة، لان نسبة الصوفة هي الصوفية، ولأن الصوفي شأنه الرضا والتسليم والانقياد لله عز وجل"[٥].

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بن الحسن، ابو زيد الحضرمي الاشبيلي الأصل، المالكي، المعروف بابن خلدون، حكيم.

(٢) ابن عجيبة، ايقاظ الهمم، ص٣.

(٣) ينظر عبد القادر عيسى، حقائق عن التصوف، ط٥١، (مطبعة النواعير، الرمادي)، ١٩٩٢م، ص١١-١٢.

(٤) الدرقاوي، عاصم ابراهيم الكيالي الحسيني، اللفائف الالهية في شرح مختارات من الحكم العطائية لابن عطاء السكندري، دار الكتب العلمية، ص٢.

(٥) السامرائي، سعد جبار محمد، الاراء العقدية لائمة التصوف في كتاب الرسالة القشيرية (رسالة ماجستير)، باشراف الاستاذ، محمد فاروق جمعة، الجامعة الاسلامية، قلب اصول الدين، ٢٠١١م، ص٦.

وقد تختلف تعاريف متصوفة عاشوا معاً في نفس المكان والزمان ولكنهم اختلفوا في وصف المقامات والحال والمواجيد، فالتصوف كغيره من المصطلحات مر بمراحل نمو تاريخي متواصل لتأثره بالمراحل المختلفة، واكتسابه ابعاداً ومعاني متعددة فمثلاً كان التصوف يدل على الزهد، ثم صار يدل على موقف خاص فردي في البسة الدينية ثم تحول الى حالة خاصة في المعرفة والوجود"[١].

يمكن مراجعة الفصول الخاصة بتسمية التصوف في المصادر والمراجع التالية، للتعرف على مذهب اهل التصوف للكلايازي، اللمع للسراج الطوسي الرسالة القشيري، كشف المحجوب للهجويري، نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام، ج٣، للدكتور النشار، المدخل الى التصوف، ابو الوفا التفتازاني.

"تدل التعريفات والاقوال السابقة على ان الصوفية لم يمكنهم وضع جامع عالم وما ذاك الا لان مشاربهم واحوالهم متباينة وان كل منهم نطق عن حالة وذوق ومشربه"[٢].

وزعم بعضهم ان نسبة التصوف الى كلمة (سوفيا) ومعناها عند الصينيين (الحكيم العلوي)، وقد انفرد بهذا الوصف عن العلماء العرب البيروني[٣].

وعرف الكرخي (ت ٢٠٠هـ): "التصوف هو الاخذ بالحقائق، واليأس بما في ايدي الخلائق"[٤].

(١) ينظر: غلاب، محمد، التصوف المقارن، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، (د.ت)، ص١٠.

(٢) الوسي، ياسين حسين، ابن خلدون ونظرته في التصوف، دراسة تحليلية مقارنة، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م، ص٥٢.

(٣) ابو العلاء حقي، التصوف الثورة الروحية في الاسلام، نقلاً عن الوسي، ياسين حسين، ابن خلدون ونظرته في التصوف، ص٥٧.

(٤) القشيري، الرسالة القشيرية، ص٢٨؛ والسهروردي البغدادي (ت ٥٦٣هـ)، عوارف المعارف، ص٧٦.

وسئل الجنيد عن التصوف فقال: "تصفية القلب عن مواقفه البرية، ومفارقة الاخلاق الطبيعية، واخماد الصفات البشرية ومجانبة الدواعي النفسانية، .. والوفاء لله على الحقيقة، وارجاع الرسول ﷺ في الشريعة"[١].

وقال ابو بكر الشبلي (ت ٣٣٤هـ): "التصوف ضبط حواسك ومراعاة انفاسك"[٢].

هذه التعريفات تنطلق من مراقبة النفس والاحسان في العبادة وربما استعان الصوفية بقول رسول الله ﷺ: "الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه، فان لم تكن تراه فانه يراك".

"فجمع ابن سينا في كتاباته بين اللغة الروحية – الصوفية واللغة العلمية المنطقية، ما استعار من العلوم التجريبية – الطبيعية عباراته، وكذلك من العلوم الماورائية، حتى اكتسب الفاظه صفات المادة والروح معاً"[٣].

(١) الكلايازي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ص٢١.

(٢) عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص٣٤٠.

(٣) جيرار جهامي، قادة الفكر، ابن سينا حضوره الفكري بعد الف عام، تقديم الاب: فريد جبر، ط٢، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٠م، ص٦٤.

الحكمة بين التصوف والفلسفة:

قيل: الحكمة معرفة الحقائق على ما هي عليه بقدر الاستطاعة للانسان وما علي عليه، او هي معرفة الحق لذاته، ومعرفة الخير لأجل العمل به[١]، وعبر ابن سينا عن الحكمة فقال "الحكمة صناعة نظر يستفيد منها الانسان لتفصيل ما عليه الوجود كله في نفسه، وتستكمل وتصير عالماً معقولاً مضاهياً للعالم الموجود، وتستعد للسعادة القصوى في الآخرة وبذلك بسبب الطاقة الانسانية"[٢] والحكمة.

"معرفة الوجود الواجب وهو الاول، ولا يعرفه عقل كما يعرف هو ذاته"[٣].

وقد قسم ابن سينا الى قسم نظري مجرد وقسم عملي، وقيل ايضاً الحكمة كلمة جامعة وهي مجموعة التجارب، وفي العصر اليوناني ترادف (الحكمة) لفظة (الفلسفة)[٤].

وان اول من وصف بالحكمة هو (لقمان الحكيم) في قوله سبحانه ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ**﴾[٥] ومن الموصوفين ايضاً بالحكمة، فيثاغورس، ومن بعده وصف باسم الحكيم سقراط[٦].

---

(١) صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، ط١، (دار ذوي القربى،قم، ايران)، ج١، ص٤٩٢؛ وينظر: محمد بدوي، كتاب البرهان لابن سينا، القاهرة ١٩٦٦)، ص٣٨- ٤٦.

(٢) صليبا، المعجم الفلسفي، ص٤٩٢؛ وينظر: تمهيد الفلسفة، زقروق، محمود حمدي (دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة)، ١٩٩٤، ص٤٥.

(٣) خياط، يوسف، معجم المصطلحات العلمية والفنية، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، ط١ بدون تاريخ، ص١٧٤.

(٤) خياط، معجم المصطلحات، ص١٧٤.

(٥) لقمان: ١٢.

(٦) الشيرازي، صدر الدين محمد بن ابراهيم، اصنام الجاهلية، تحقيق: محسن جهانكيري، انتشارات الحكمة الاسلامية، (صدرا)، ط١، طهران، ايران، ١٣٨١هـ، ص٥٨.

الحكمة لغةً واصطلاحاً:

قال الازهري، من صفات الله الحكم والحكيم والحاكم ومعاني هذه الاسماء متقاربة، والهل اعلم بما اراد بها وعلينا الايمان بانها من اسمائه، قال ابن الأثير: من اسماء الله تعالى الحكم والحكيم وهما بمعنى الحاكم، وهو القاضي، فهو فعيل بمعنى فاعل، او هو الذي يحكم الاشياء ويتقنها، فهو فعيل بمعنى مُفعل، وقيل: الحكم ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة اصل الأشياء بأفضل العلوم(١).

وفي الحديث: "ما من آدمي الا وفي رأسه حكمة، وفي رواية، في رأس كل عبد حكمة إذا همّ بسيئة، فإن شاء الله تعالى ان يقدعهُ(٢).

"لقد نسب التصوف في كل العصور الى (الحكمة) وجاء من جزم بأن اشتقاق التصوف انما هو من (سوفيا) اليونانية التي تعني الحكمة"(٣).

وجعل الحكمة "اداة الانبياء والعقلاء في التعامل مع سائر الناس في قوله تعالى: **﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحُسَنَةِ﴾** (٤)، وقوله تعالى: **﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾**(٥)، وقوله تعالى: **﴿وَأَنزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾**(٦).

(١) ابن منظور، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، مجلد ٥، ٢٠٠٨، ص٤٣٣.

(٢) قدعه: والحكمة حديدة في اللجام تكون على أنف الفرس وحركته تمنعه من مخالفة راكبه.

(٣) محمد بن بركة، التصوف الاسلامي من الرمز الى الوفان، ط١، دار المنون، الجزائر، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، ص١٠٧.

(٤) سورة النحل، الآية ١٢٥

(٥) سورة البقرة، الآية ١٢٩

(٦) سورة النساء، الآية ١١٣

«المبحث الثاني»

مقارنة معرفية بين ابن سينا والسهروردي

ان الفترة الزمنية الفاصلة بين عصر ابن سينا وعصر شيخ الاشراق السهروردي[١]، والتي تقارب (١٢٠) سنة لم تلغ الصلة ما بين الشيخين من وصلات معرفية، إذ شرح السهروردي بعض كتب ابن سينا كالاشارات والتنبيهات وترجم (رسالة الطير) الى الفارسية[٢].

فالسهروردي اكمل ابعاد مشروع ابن سينا، وأسس اصوله فجمع بين البرهان والعرفان ، وبين البحث والذوق، فهو بلغ في الأول مكانة لم يصارعه فيها احد

(١) شهاب الدين ابو الفتوح السهروردي المولد سنة (٥٥٠هـ/ ١١٥٥م) والمتوفي (٥٨٧هـ/ ١١٩١م) من اكثر المتأثرين بمؤلفات ابن سينا الفلسفية، ولد ببلدة سهرورد من اعمال زنجان في عراق العجم، درس على يد الشيخ الامام مجد الدين الجيلي الفقيه الاصولي، وفي اصفهان اتصل بمذهب ابن سينا وترجم (رسالة الطير)، ومن أقوال الشيوخ عنه، قال المارديني: "لم ار في زماني أحد، مثله، ولكني اخشى عليه من شدة حدته وقلة تحفظه" وان السهروردي أوحداً في العلوم الحكمية جامعاً للفنون الفلسفية، وله تصانيف منها (التلويحات في الحكمة) و(التنقيحات في اصول الفقه) و(حكمة الاشراق) و(الغربة الغربية) و(هياكل النور في الحكمة) ومن اجود شعره قصيدته (الحائية). ينظر: ابن ابي اصيبعة،عيون الانباء، ج٣، ص٤٧٣، ابن الفرات، ناصر الدين محمد عبد الحليم، تاريخ ابن الفرات، حوادث (٥٨٧- ٥٩٩هـ/ ١٢٩١- ١٢٠٢م)، عني بتحريره ونشره حسن محمد الشماع، (دار الطباعة الحديثة، بصرة، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م، مجلد ٤، ج٢، ص٥٢، طاش كبرى زادة، مفتاح السعادة، ج١، ص٢٧٦؛ الحموي، معجم البلدان، مجلد ١٠، ج١٩، ص٣١٦.

(٢) ابو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام، (الناشر: دار المعرفة الجامعية ٢٠٠٢م)، ص٤٣٠.

باعتراف اعلامهم انفسهم والثاني تميز بجمع كلمة الاوائل والأواخر، وابطل مزاعم المشائين واعاد تعليم قدماء الحكماء الى نصابه[١].

ومن المقاربات الاشراقية بين السهروردي وابن سينا من الناحية الصوفية العرفانية "ولعل السهروردي يعول على الفيض اكثر من تعويله على النظر والتأمل"، الاشراق عنده كشف وتجل من أعلى، لا مجرد صعود وترق من اسفل، وتلك فروق جزئية وهدف الشخصين معاً واحد، وهو الاتصال بالعالم العلوي"[٢].

حيث لا يمكن إنكار السوابق التاريخية لمفهوم الاشراق عند ابن سينا قبل السهروردي حتى وان تنبهنا للتسمية والفارق بين (الاشراقية) ولا المشرقية.

"فالفلسفة الاشراقية التي يمتاز بها ابن سينا، وهي التي تعبر عن فلسفته اصدق تعبير، وهي التي ارتضاها لنفسه آخر حياته"[٣].

ومن باب قدسية البحث العلمي لا نخلط بين اشراقية ابن سينا واشراقية السهروردي "اللهم الا اذا اردنا بالاشراق مجرد الكشف والتجلي"[٤].

ومن جانبٍ آخر نرى ان السهروردي اقتفى اثر ابن سينا في كتابته، حتى اننا لا نجد نصاً في بعض كتبه الا ونجده ما يشير بقرابته من نصوص ابن سينا[٥].

(١) ينظر: ماجد فخري، تاريخ الفلسفة الاسلامية، تحقيق: كمال اليازجي، (د.ط)، (دار المتحدة للنشر، الجامعة الامريكية، ١٩٨٤م)، ص٣٠١.

(٢) ماجد فخري، تاريخ الفلسفة الاسلامية، ص٧٠.

(٣) ابن سينا، احوال النفس، تحقيق ودراسة: أحمد فؤاد الاهواني، (د.ط)، (دار بيلون، باريس، ٢٠٠٦)، ص٣٢.

(٤) ماجد فخري، تاريخ الفلسفة الاسلامية، ص٧٧.

(٥) ينظر: مجهول، جواد كاظم، الرمزية في فلسفة السهروردي، (اطروحة دكتوراه) باشراف الاستاذ الدكتور نعمة محمد ابراهيم، جامعة الكوفة، كلية الآداب، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، ص٧.

لهذا ألّف السهروردي بين نوعين من الحكمة النظرية والعملية، لكن هذا لا يعني انه لم يأخذ من ابن سينا ولم يتأثر به فقد اضافا عليه لمسة قرآنية ذوقية، فنظريات ابن سينا استفاد منها السرهرودي ووظفها في فلسفة "اما سائر هذه النظرية الكونية الميتافيزيقية الشاملة، التي ينسبها السهروردي الى الفلاسفة، فهي نظرية ابن سينا المقرونة، وهو لا يكتفي في بسطه لها بالموافقة الضمنية عليها، لكنه يحاول فضلاً عن ذلك ان يؤيدها بشواهد من القرآن الكريم والتراث الصوفي"[١]. وعلى وفق رأي ماجد فخري.

ولابد من تأكيد القول بتأثير الفكر السينوي على السهروردي وعلى وفق ما ذكر السهروردي نفسه "انه كان شديد الذب عن طريق المشائين في حياة حتى اهتدى الى نور الحق أي الى العالم العلوي الاشراقي"[٢].

بالاضافة الى تأثر السهروردي برسائل ابن سينا الرمزية التي سوف نوضحها لاحقاً منها رسالته (الفريه الغربية)[٣] على نهج (رسالة الطير) لابن سينا.

والتي تؤكد انه "مهما كانت الرموز مختلفة الا ان المغزى واحد في كلتا القصتين، فالنفس عند السهروردي مثلما هي عند ابن سينا"[٤].

ولم يقتصر تأثير ابن سينا في العالم الاسلامي على جانب المشرق، فبعد ان "جاء دور السهرودي ليكمل ما بدأه ابن سينا من تأسيس الحكمة المشرقية، تتجاوز القوالب الجافة للتجريد العقلي، وتميل نحو تحصيل المعرفة عبر تزكية النفس واتباع مسلك الشعوذة والسير والسلوك وتأسيس مدرسة حكمية جديدة هي (حكمة الاشراق) ثم

(١) ينظر: فخري، ماجد، تاريخ الفلسفة الاسلامية، ص٣٠٠.

(٢) فخري، ماجد، تاريخ الفلسفة الاسلامية، ص٤١٢- ٤١٣

(٣) الغربة الغربية، ضمن كتاب اللمحات للسهروردي، تحقيق: إميل معلوف، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٩١م، ص٥١.

(٤) نصر، سيد حسن، ثلاثة حكماء مسلمين، ص١٠٠.

وصل هذا المسلك الى اوجه مع صدر الدين الشيرازي مؤسس مدرسة الحكمة المتعالية"[١] ووصل تأثيره الى المغرب الاسلامي فهم سلسلة طويلة نذكر منهم ابن طفيل (ت ٥٨١هـ- ١١٨٤م) وابن باجه (ت ٥٣٣هـ- ١١٣٨م) وغيرهم فضلاً عن التأثر الواضح في الاوساط العلمية الاوربية الى عهد قريب[٢].

وللمزيد من الاشارة حول موضوع المشرقية والاشراقية التي أصل لها ابن سينا واكملها السهروردي الذي ارسى حكمة الاشراق، وعبوراً الى فلاسفة المغرب الاسلامي فقد عرض ابن طفيل في قصة (حي بن يقظان) مفهوم الحكمة المشرقية حيث علق نصري نادر ما نصه "طلب من ابن طفيل ان يعرف حكمة الاشراق وفي رأيه هذه الحكمة هي الحقيقية، سألت ايها الأخ ما أمكنني بثه من اسرار الحكمة المشرقية التي ذكرها ابو علي ابن سينا فاعلم ان من أراد الحق الذي لا جمجمة فيه، فعليه يطلبها والحد في اقتنائها"[٣].

(١) أفزاني، صادق رمضاني، تطور الفلسفة الاسلامية من ابي علي ابن سينا الى الملأ صدراً، (مجلة مسارات، مجمع افريقية للدراسات والتوليف والنشر، ٢٠١٥م)، المجلد ٣، العدد ٤، ص٨٨.

(٢) بدوي، الموسوعة، ص٨١- ٨٢؛ وينظر: الزيادي، المدخل الى الفلسفة، ص٣٦١.

(٣) ابو بكر بن طفيل، حي بن يقظان، قدمها وعلق عليه: البير نصري، نادر المشرق، بيروت، ١٩٨٦، ط٣، ص١١-١٢.